باب الأخبار والآثار

ترجمة أحمد باشا المنشاوي

هو ابن أحمد آغا المنشاوي بن الجوهري المنشاوي نسبة الى قرية المنشاة في مركز زفتى من مديرية الغربية بمصر ولد سنة ١٢٥٠ وقيل ١٢٥٦ ومات والداه عن ثمانية أولاد هو أصغرهم وترك لهم مثقي فدان فربا أخوه الأكبر محمد بك المنشاوي وعلمه مبادي القراءة والكتابة بالعربية والتركية وفي اثنا منة عشرة من عمره عين معاونا في عمال المزارع التي تسمى الدائرة السنية فعرف كيفية ادارة الزراعة وتعمير الارض بالطرق المنتظمة التي كان يجري عليها أمراء مصر . وقد خلقه الله كبير النفس فحدثته نفسه بالمعالي ولم تك المعالي يومئذ الا في قرب الحكام ووفرة المال فوجه نفسه الى جمع الثروة وكان مبدأ أمره فيها ان اشترى تبنا كثيرا من الدائرة السنية بثمن بخس فارتفع ثمنه جدا حتى بلغ ثمن الحمل جنيها فربح ربحا عظيما ثم اشترى مقدارا عظيما من بزر البرسيم الاردب بجنيه فغلا ثمنه حتى بلغ ثمن الاردب اثني عشر جنيها ثم اشتغل بأعمال زراعية أخرى فنجح فيها نجاحا عظيما بكده وجده حتى وثق به اسماعيل باشا المفتش العام الذي كان يدير دفة الحكومة المصرية في عهد الخديو اسماعيل باشا ورقاه في عمله ومن أقدر على جمع الثروة ممن كان يثق به هذا ويوليه الاعمال الزراعية ؟ نعم ما كل ما تسنح له الفرص يحسن استخدامها كما استخدمها المترجم بمهارته وحذقه الفطري وشجاعته وقد كانت قيمة الارض قليلة في ذلك العهد لكثرة الخراب والظالم من الحكومة حتى كأن الفلاحين كلهم عبيد للأمير لا ينالون من تعبهم في استغلال الارض له الا ما يسد الرمق ويحفظ الدماء ولولا الحاجة اليهم للخدمة والاستعباد لبخلوا عليهم بذلك الماء ، الذي كان بمثابة الدواء والعلاج ، ولكن أصحاب الجراءة والاقدام ، والزلفى عند أولئك الحكام ، كان يسهل عليهم من جمع الثروة ما يعز على غيرهم وبلغنا ان المترجم لم يملك على عهد اسماعيل باشا أكثر من ألف فدان فان [illegible] دليلا على ان لم يستعن على تحصيل ثروته الواسعة باستبداد الحكام كما [illegible] حصلها بجده واجتهاده تدريجا . وليرجع القارئ هنا الى ما قلناه

في مقدمة ترجمة محمود سامي باشا الادية من هذا الجزء ليتذكر أن نجاح الانسان في أعماله هو أثر استعداده وثمرة خلائقه وقد جرى المترجم بحسب ميله واستعداده في طرق الاثراء وكانت براعته في عمارة الارض واستغلالها أشد من براعته في امتلاكها فقد ملك عشرة آلاف فدان كانت غلتها نحو مئة ألف جنيه في السنة ومن الناس من يملك في مصر أكثر من ذلك أرضا ولا ينال منه نصف ما كان ينال المنشاوي ريعا وأهل هذه الديار يعرفون كثيرا من معاصريهم الذين ترك لهم آباؤهم عشرات الالوف من الفدادين ، فأضاعوها وانقلبوا مساكين . فلا يحسبن الجاهل ان الثروة تنال بما يسمونه البخت أو بمساعدة أصحاب السلطة والجاه او سنوح الفرص بل يجب ان يعلم ان الوسيلة الاولى هي الاستعداد الفطري والاخلاق ثم العمل والجد عن علم بالميل الناشيء عن ذلك فالبخت اسم لمسمى وهمي والفرص تسنح لكثير من الناس وقليل منهم المستفيد منها ، والعلم بطرق الكسب لا يغني وحده فكم من عالم خائب والجد والكد بغير مساعدة الاخلاق قليل الغناء فاكثر الناس كادح ناصب في تحصيل الرزق والناجح قليل من كثير . ومن يقول ان الحريص كالمهل المفرط ، والمقتصد كالمسرف المضيع ، والجري كالجبان الهلوع ، والسخي كالبخيل المنوع ، والعزيز الكريم ، كالمهين اللئيم ، ومن دلائل حذق المنشاوي ومهارته في تدبير أمر الثروة انه دائرته الواسعة لم يكن فيها من العمال والكتاب عشر ما في أمثالها من دوائر أمراء مصر وأغنيائها الذين هم فوقه علما ودونه مهارة وعملا وكان ينظر كل شيء بنفسه ولا يتم في الدائرة عمل الى بإذنه وتوقيعه

كان عزيز النفس أبيها ولوعا بالشهرة بالمعالي مغرما بحب المدح والثناء وصاحب هذه الخلال وان لم يقف بها عند الحدود المشروعة والموضوعة خير من المهين المغمور المستولغ الذي لا يبالي أعده الناس مسيئا فذموه أو محسنا فمدحوه كما عليه كثير من أمرائنا وأغنيائنا الذين لا همّ لهم الا التمتع باللذات البهيمية . ولذلك كان يدخل في المنازق ويركب الصعب لإحراز المكانة في نفوس الناس . ومن ذلك توسطه بين عربان القطر المصري وعرابي باشا حين أراد هذا إلزامهم بقبول ضرب القرعة العسكرية في أبنائهم فأبوا وتألبوا يبغون الفتنة ولما أغرى شيطان السياسة المصريين بقتل الافرنج ومن

شاكلتهم من اليهود والنصارى الغرباء في الاسكندرية سرى سم الاعتداء منها الى طنطا ودفق الرعاع يقتلون ويضربون فانبرى الفقيد يومئذ الى اغاثتهم فنفر عنهم طائر الفتنة وحمل المئين منهم على قطارين الى بلدته القرشية فوضع كبارهم في قصره العظيم والباقين في مزارعه هناك فكانت لهم حرما آمنا يلجأ اليه الخائف ويفرخ روع الواجف ، وكان ينفق عليهم من سعته وجهز كثيرين منهم فسافر وا بحمايته وتفقته الى بور سعيد فأوربا . وزعم بعض المنتقدين أنه لم يفعل ذلك الا لما كان يتوقعه من ظفر الانكليز واثابتهم اياه على صنيعته وما كان الرجل يمد النظر في الامور الاجتماعية والسياسية فيدرك ما لم يكن يخطر على بال أكثر المتعلمين والحاكمين بل كان على غاية البساطة في غير الامور الزراعية والاقتصادية وما أرى السائق له الا الاريحية الفطرية وحب معالي الامور مع الاحساس بالقدرة على ذلك لما له من الاعوان والعصبية وقد آوى غيره من الوجهاء بعض الناس على جبنهم وخوفهم ولكن لم يشتهر أمرهم واما عمل المنشاوي فلعظمه قد طار ذكره في الآفاق فاهديت اليه أوسمة الشرف من دول أوربا وجمعياتها . ولكن الذين تتوجه نفوسهم الى الشر دائما لا يصدقون بأنه يوجد الدنيا من يعمل الخير لوجه الله تعالى أو لحب الخير على أن الذي يطلب الحظوة عند الدول أو عظماء الناس بفعل الخير قليل في الناس وما كثر هذا الفريق في أمة الا وارتقت وعظم شأنها فالمنشاوي كان خيرا من معتقديه وان صدق سوء ظنهم فيه ، وقد فعل مثل فعله في مصر الأمير عبد القادر وغيره من علماء وعظماء المسلمين في الشام في ابان الفتنة التي حدثت سنة ١٨٦٠ م فهل كانوا يتوقعون ان يأخذ الفرنسيس الشام فيكافئوهم ويرفعوا شأنهم ؟ كلا ثم كلا انهم كانوا بباعث الدين والمروءة ينبعثون

وقد كان من المتهمين في الفتنة العرابية وحوكم فلم يثبت عليه بما يحكم به عليه ولكنه في أعقاب الفتنة سافر الى بلاد الشام وأقام مدة في بيروت كان فيها عونا للمنفيين المحتاجين من المصريين ولكنه لم يسلم من شرهم فسعوا فيه الى السلطان عندما سافر الى الاستانة سنة ١٣٠١ فكتبوا الى المابين إنه متفق مع اسماعيل باشا على تأسيس دولة عربية فلم تضره سعايتهم وأقام في الاستانة زمنا ثم سافر الى تونس فأكرم الباي ورجاله مثواه وأنعم عليه برتبة أمير الامراء ووسام الافتخار ثم سافر الى نابولي فلقي من

ورجال بعض الجمعيات الانسانية حفاوة واكراما ثم عاد الى مصر سنة ١٣٠٥ وأقام في قصره بالقرشية وكان حب الكرامة والعلاء قد نما في نفسه فلم يكن يسعه ذلك القصر الفخيم والجنة التي أنشأها له وفيها من كل فاكهة وكل زهر وريحان، مالا يكاد يوجد في مكان . ولذلك كان كثير الشؤون مع الامير والحكومة ولا موضع في المنار لذكر شيء من ذلك وانما نشير الى الهضم الذي ناله من جراء ذلك فهب باعث ردّ الفعل الى العلاء والكرامة من الطريق الحقيقي فنال لقب « محسن مصر الكبير » وهو أفضل من لقب باشا وأمير .

بعد المترجم عن أمير البلاد لهذا العهد زمنا ثم قرب منه وقيل انه قدم هدية لولي العهد يومئذ مزرعة تبلغ ألف فدان . واتفق في زمن هذا القرب أن سرق من مزارع الامير ثور لم يهتد رجال الحكومة الى سارقه فقصدى لمساعدتهم ارضاء للامير وكان من أقدر الناس على ذلك لما اعتاده بواسطة خدمه وأعوانه من التنكيل بالاصوص من أيام الاستبداد فضرب بعض المتهمين الذين أحضرهم وكان عنده مأمور مركز طنطا يبغي التحقيق فقامت لذلك قيامة الحكومة لان المحتلين يشتدون في ازالة السلطة الشخصية من مصر ويعاقبون أشد العقوبة كل من يعمل عملا لا يجيزه له القانون لاجل ارضاء الامير أو بوحي من قصره فحكم المترجم وحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر وعزل المأمور تأديبا وعزل مدير الغربية سعد الدين باشا بالاحالة على المعاش . فعظم الامر على الفقيد وذهب بعد خروجه من السجن الى أوربا لينتقم من اللورد كرومر بما يكتب في الجرائد الاوربية ، سول له ذلك بعض الطامعين في ماله فقبله لبساطته ثم رجع يائسا وقد أراد بعد عودته ان يغيظ المحتلين بزيادة القرب من الأمير وتعظيم شأنه فلما أراد الأمير ان يسافر للاحتفال لقناطر زفتي لمس منه ان يمرّ على محطة القرشية فقبل فأعد هناك زينة واحتفالا لم يعرف لمثلهما نظير في القطر المصري وقبيل السفر كتب اليه من حاشية الامير بأن العزم قد تحوّل عن المرور من هناك فعظم عليه الامر جداً وانكمشت نفسه حيناً لتدفع الى العمل العظيم الذي لا خيبة فيه ولا إضاعة بل هو الشرف الرفيع الذي يمحو كل غضاضة وما عتم ان أنشأ تلك الوقفية العظيمة التي نوهنا بها في السنة الماضية (المجلد السادس) فعم إحسانه العلماء والفقراء من جميع الملل

ولما توجهت نفسه للخير والبر بالسخاء الحاتمي صار يكثر معاشرة أهل الخير والعلم فوثق عرى وداده بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وصار يكثر زيارته ويستشيره في شؤونه وقد عرفناه في اثناء ذلك . وكنت كثيرا ما أحدث الشيخ فيما تتوق اليه نفسه من السعي في إنشاء مدرسة جامعة في مصر تكون في ضواحي القاهرة فكان يشكو من بخل الاغنياء وجهلهم بفائدة هذا العمل الذي لا يتم الا بمبلغ عظيم فلما اتصل المنشاوي به رغبه في هذا العمل الذي يكبر على غير نفسه الكبيرة ويده المبسوطة فوعد بأنه سيفعل ولما وقف تلك الارض التي قيل ان ريعها يناهز أربعين ألف جنيه في السنة وهو في الحقيقة لا يقل عن ٢٥ ألف جنيه خفنا أن يكون رجع عن رأيه فاذا هو لم يرجع وكنت كلما لقيته أحدثه في أمر المدرسة وأعظم من شأنها حتى انني رأيته في غرة رمضان من السنة الماضية فأقسم لي بالله انه سيكلم في ذلك النهار احد الامراء في شراء قصر له (بشبرا) لينشيء المدرسة فيه موقتا الى أن يبني لها البناء الذي يليق بها ثم علمت انه كلمه ولم يتفق معه على الثمن . وبلغ الخبر أرباب الجرائد فطفقوا يذكرون المدرسة الكلية الجامعة بما يزيد في تشويقه رحمه الله حتى اذا كان يوم السبت (١٠ شوال الماضي) كتب الى مجلس النظار كتابا يطلب فيه أن تبيعه الحكومة عشرة آلاف فدان معينة (كانت باعتها من رجل اجنبي بثمن وشروط لم يستطع القيام بها ففسخت البيع) ليجعلها وقفا على مدرسة كلية يريد إنشاءها في مصر بالقرب من القاهرة ومن عادة الحكومة أن تبيع الأرض للمدارس والاعمال الخيرية بثمن بخس والفقيد طلب هذه الارض بمثل الثمن الذي كانت باعتها به وكتب اليها انه يوقع على حجة الوقفية في الوقت الذي توقع له المالية على عقد البيع . ثم توسل بالمفتي الى نظارة المعارف بأن توصي الحكومة بالتعجيل بعقد البيع منه ووعدها بأن تكون المدرسة تحت رعايتها وقد ذاكر وكيل المعارف ناظرها في ذلك فكتب للحكومة أحسن توصية وبلغنا ان الحكومة قبلت ولو أمهل القدر الرجل الى آخر الاسبوع لتم الأمر ولكن عاجلته المنية فاختطفته من مصر في يوم الثلاثاء (١٣ شوال الموافق ٢٠ دسمبر) فكان فقده خسارة علمية هيهات تعوض بالألوف من هؤلاء الاغنياء البخلاء . وقد كنا زرناه في ذهيته بعد عيد الفطر وتحدثنا في أمر المدرسة فقال : إني الآن قد

بدأت بضرب الطوب (الآجر) لاجل البناء في الصيف الآتي : وأخبرنا عن المكان الذي سيبني فيه وهو في أرض له تشرف بمبسوس على ضفة النيل وأخبرنا انه كان عازما على شراء مراكب بخارية صغيرة من النوع المعروف بالرفاص لاجل نقل أساتذة المدرسة الذين يقيمون في القاهرة مع التلامذة الخارجين صباحا ومساء في النيل ووعدنا بأن سيطلعنا على ذلك المكان فياحسرة العلم والبلاد عليه

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

ومن كرمه الحاتمي انه تبرع بألفي جنيه لمساعدة السكة الحديد الحجازية واقتدت به حرمه فتبرعت بخمس مئة جنيه وقد جمع لذلك مالا كثيرا بسعيه فأنعم عليه السلطان برتبة بلربكي ٠

ومن الدلائل على حسن خاتمته رحمه الله تعالى انه قبل موته بيوم طاف على جميع الذين كان بينه وبينهم مغاضبة أو عداوة فصالحهم على عزة نفسه وشدة ضنته فلم يقبضه الله تعالى الا بعد أن زكى نفسه من الحرج على الناس فنسأل الله تعالى أن يحسن اليه في الآخرة أضعاف ما أحسن الى عباده في الدنيا وان يتجاوز عن جميع ما سلف منه بمغفرته وإحسانه

أشرنا في الجزء الماضي الى ما كان لتشييع جنازة المترجم من المشهد الذي لم نر مثله لأحد من الامراء والعلماء ونزيد الآن بيانا فنقول إن الشوارع كانت غاصة بالناس من شاطئ النيل حيث كانت ذهبيته التي توفي فيها الى محطة مصر اذ نقل من المحطة الى طنطا لاجل دفنه في القبر الذي أعده لنفسه . وكان الازدحام على أشده من ميدان الازبكية الى المحطة وكان في مقدمة المشيعين مفتي الديار المصرية وأحد حجاب الامير نيابة عنه وكثير من العلماء والوجهاء من جميع الطوائف والملل المقيمة في مصر ولكن لم نر في ذلك الجمع الكبير أحدا من أسرة الامراء ولا من النظار حتى كأنهم ليسوا من الامة كما قيل . وكان المشهد في طنطا على نحو ما كان في مصر وزاده تأثيرا هناك اجتماع تلامذة مدرسة الجمعية الخيرية فيها و ٣٠٠ تلميذ من تلامذة مدارس جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية معهم الموسيقى الخاصة بهم جاءوا مع أعضاء ادارة الجمعية في قطار خاص بهم لاجل تشييع الجنازة وقد حمد الناس من هؤلاء الاعضاء الاكارم هذه العناية وعدوها من شكرهم لفضل الفقيد على مدارسهم لاسيما مدرسة محمد علي

الصناعية التي لم تكن لولاه شيئا يرجى ثباته

مات رحمه الله تعالى عن زوجة كان مغبوطاً بها محترما لها أشد ما احترم رجل امرأته وما ذلك الا لانها بحسن معاملتها قد عرفت كيف تملك قلبه . وعن شابين وبنت متزوجة وهم من غير زوجته التي مات عنها واحد الولدين مسجون وقد توجهت قلوب الناس الى الأمير بالعفو عما بقي من مدة سجنه . وقد رضي المسجون بأن يجعل أخاه المطلق يوسف بك فيما عليه . فخوّف الذين اعتادوا الاستفادة من تركات الأغنياء بالتحريش بين الوارثين وتوريطهم في الشكاوي والدعاوي على يوسف بك هذا وأنشأوا يوسوسون له ليوقعوا بينه وبين وكيل الدائرة بسيوني بك الخطيب وبقية الورثة . فاذا فطن لأمرهم وعرف تأثير أمثالهم في أمثاله ووعى أقوال النصحاء المخلصين يرى ان هذا الوكيل كان محل ثقة أبيه الذي خبر الناس وبلاهم وان ثروته كانت تزيد على عهده وأراضيه وأملاكه تزداد عمراناً وربما وعند ذلك يتفل وسوسة الموسوسين ويبقي كل شيء على حاله والا فانه يخسر بالقضايا والمشكلات أضعاف ما توهمه شياطين الانس الآن انه يخسره بالمسالمة فينعم زمانا قصيراً ثم يعود — حماه الله — الى حال المساكين ، والعاقبة للمتقين ؛

وفاة الشيخ محمد محمود الشنقيطي

لم ترقأ دمعة عين الأدب المنسجمة على محمود سامي ولم يهدأ روع محبي العلم والخير حزنا على أحمد المتشاوي حتى فجع العلم وأهله بوفاة الشيخ محمد محمود الشنقيطي العالم اللغوي الشهير في مساء يوم الجمعة لسبع بقين من شوال فقد فقدت مصر بل الامة العربية في هذا الشهر ثلاثة رجال لا خلف لهم فيمن نعرف من أبنائها . مات رحمه الله بمرض انحلال الشيخوخة عن سن تناهز التسعين فيما نظن وكان حضر تشييع جنازة صديقه محمود سامي باشا ومشى فيها قليلا ثم عاد عجزاً عن متابعة السير . وقد شيعت جنازته ظهر اليوم التالي على السنة التي كان يحبها ويختصر لها على نفقة صديقه الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ومشى فيها أهل الصفاء والوفاء من العلماء والفضلاء العارفين بفضله ولم يترك رحمه الله ما يورث عنه وجميع كتبه النفيسة موقوفة ووصيه الشيخ محمد عبده وقد وضعت امرأته بعد وفاته وقبل صدور هذا

الجزء غلاما فسمى باسمه نسأل الله ان يجعله من اهل الحياة ليريه وصيه الحكيم أحسن تربية.
وسنذكر ترجمة الفقيد في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

رأي في احتلال فرنسا لمراكش

جاء في رسالة لمكاتب المؤيد في باريس علي أفندي زكي نشرت في العدد ٤٤٥٧ منه ما نصه

« متفق على كل محب للمراكشيين أن يبحث عن وجوه سعادتهم واني ممن لا يرون في التداخل الفرنساوي بالبلاد المراكشية أدنى ضرر على شرط أن يكون هذا التداخل غير ماس باستقلال البلاد المراكشية من جهة ولا بسياج دين أهلها ولا بكرامتهم

وان كل مطلع على تاريخ البلاد وكيفية استعمارها يحكم ان مراكش لا يمكنها أن تقوم بنفسها بما تقتضيه راحة رعاياها وسعادة بنيها بل لابد لها من مساعد يساعدها ويمدها بالمال والرجال حتى تخرج من أزمتها الحالية واذا نظرنا الى الدول جملة نرى ان الدولة القريبة منها المشتركة معها في صوالحها هي الدولة الفرنساوية ولكن هذا لا يمنعنا أن نكون ضد سياسة فرنسا إذا أرادت مس استقلال البلاد المراكشية بل ويلزمنا محاربتها بأقلامنا وبكل جهد استطاعتنا حتى نرجعها الى صوابها » اه

وياليت شعري ماذا فعلت محاربة انكلترا بالاقلام لاخراجها من مصر وهل فرنسا أضعف من انكلترا وأشد خوفا من أقلام أمثال هذا الكاتب السياسي ؟

معاهد العلم الديني في الاسكندرية

امر الامير منذ عامين بأن يكون طلاب العلم في الاسكندرية تابعين للجامع الازهر في قانونه ونظامه وعين الشيخ محمد شاكر الذي كان قاضي القضاة في السودان شيخا لعلماء الاسكندرية لاجل ادارة نظام التعليم فيها. وقد خصص في ميزانية ديوان الاوقاف لسنة ١٩٠٥ ست عشرة واربع مئة وأربعة آلاف جنيه من ريع الاوقاف الخيرية لنفقات التعليم في الاسكندرية وقد سار الشيخ محمد شاكر في ذلك على نظام نذكره بعد

(تصحيح غلط) لفظ البنات في السطر ١٦ من الصفحة ٨٢٩ صوابه النبات وفي س ٦ من س ٨٣٠ منها صوابه منها وفي س ٢١ نفرت صوابه (فنرت) وفي س ٣ من س ٨٣١ طمع صوابه طمع . وقولنا في صفحة ٨٣٢ يوم الاثنين صوابه ليلة الثلاثاء